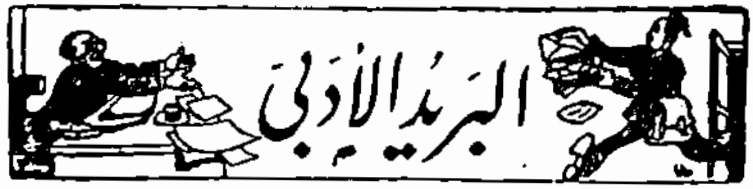

الى الزملاء المعاصرين

توفى أخيراً الشاعر على محمود طه ، وسكتت قيثارته الى الأبد، وراح الأدباء يتسابقون إلى تحبير المقالات ونظم القصائد فى تمجيد ذكراه ، واطراء شعره ، فهو فى كل مايكتبون شاعر عبقرى، فقده الأدب العربى ، ومؤلفاته تستحق العناية والدراسة ، وفى أكثر من مكان تعد دراسات مفصلة لشعره أينوى نشرها خدمة للادب و « قياماً » بالواجب تجاه الفقيد

ولن يمضى عام حتى تموت الذكرى ويخمد الصوت ؛ وتلتصق كلمة « كان » بالشاعر الفذ ، ثم تمضى الأيام ، وتكر السنوات ، ويتطوى هذا الجيل كما انطوى على محمود طه ، ويأتي أسلافنا فلا يجدون عنه سوى آثاره الشعرية ، وتاريخ مولده ووفاته ، وربما لم يعرفوا عنه أكثر مما نعرف عن المتنبي وهو شاعرنا العملاق الذى ألقى ظله الضخم على عصور أدبنا كلها ، وإن كنا نجهل سيرته جهلا شبه تام .

ولكن أخلافنا لن يعذرونا كما عذرنا قوم المتنبي ، فالفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين القنبلة الذرية والسيف ... الفرق بين مقاعد الطيارات الوثيرة وظهور الخيـــل ، .. الفرق بين القرن العشرين والقرن العاشر .. فما عذرنا ؟

لا ! لن نكون خدمنا شاعرية على محمود طه ، بهذه القصائد الحارة التى نحييه بها ؛ فهى كلها ليست إلا تعبيراً مقنعاً عن عواطفنا تجاهه ، ولن نخدمه بدراساتنا المفصلة لشعره ، فالزمن طويل مديدا ؛ وسيأتى بعدنا آلاف يدرسون شعره الدراسة التى يستحقها . وإنما واجبنا الأكبر أن نتقصى سيرة حياته تقصياً دقيقاً نشترك فيه جميعاً ـ أبناء هذا العصر كله ـ فيحشد كل قواه كلها من أجل الأدب الذى نعزه ، ونؤمن بقوة أثره فى أنهاض الأمم والسمو بمداركها وأحاسيسها ، وهو عمل لايستطيع القيام به سوانا ولو جمعت العصور القادمة ذكاءها كله لما استطاعت النهوض به ، فى أيدينا نحن وحدنا المفتاح . نحن الذين عشنا مع على محمود طه ومنا من كان من أصدقائه المقربين ، وأقاربه ، ومعارفه ، ومنا من قابله وحادثه، ومنا من تلقى منه رسائل طويلة أحياناً قصيرة أحياناً أخر، شخصية حيناً ، رسمية حيناً آخر ، ... ومنا من سمع عنه حكاية ، ومنا من قرأ عنه فى الصحف وحفظ شعره ، ومنا من يروى حوادث مر تبطة بشعره. كلنا يعرف شيئا من تلك الحياة ، والواجب الأدبى أن نجمع معلوماتنا فى كتاب أو كتب ، فهل فينا من تهيأ للقيام بهذا الواجب النبيل ؟

الجواب الحتمى المؤكد أننا جميعاً ذاهلون ... وأقول جميعاً وأنا أعلم أنه ليس من المستبعد أن يكون بعض الأدباء يفكر فى تأليف كتاب قيم عن الشاعر ، يمس حياته من بعيد ويلخصها فى ثلاثين صفحة أبرز ما فيها تواريخ وسنوات وحوادث كالتخرج والسفر إلى أوربا ، وطبع الكتاب الفلانى ، ومرض الفالج ... أما سائر الكتاب فمرض شعر الشاعر أغلبه إعجاب ، وهو أمر يستحقه الشاعر إلا أن المؤلم أنه لا يغنى عن دراسة عميقة مفصلة لحياته العملية التى لولاها لما كتب وما تغنى .

إننى أقترح ، وأود لو كان لاقتراحى صدى ، أن تنشط لجنة من التحمسين لشعر على محمود طه إلى تقصى سيرة حياته بدقة وتفصيل معتمدة فى ذلك على ما يلى :

١ — الرسائل التى كتبها الشاعر طيلة حياته .

٢ — يومياته الخاصة « إن كان قد احتفظ بسجل يوميات يمكن نشر جانب منه » .

٣ — أوراقه الخاصة وقصائده التى لم تنشر .

٤ — ذكريات أهله وأصدقائه المقربين ، عنه .

٥ — السجلات الحكومية الرسمية وكل ما يتعلق به فيها .

وقد يلوح أول وهلة أن هذه مهمة شاقة ، إلا أننا لو راجعنا سير حياة أدباء أوربا لرأينا أصغر أدبائهم قد نالها ، فكيف نترك نحن كبار أدبائنا ينطوون تحت غبار الزمن القاسى، ولا يتركون إلا كتبهم وحدها ؟ وكيف يتيسر لنا أن نفهم آثارهم إن كنا نجهل سيرهم هذا الجهل المخجل ؟

لقد آن لنا أن نؤدى ماعلينا من ديون تجاه عبقرياتنا المطموسة. ألا يكفى أننا تركنا « أبا القاسم الشابى » يضيع ويترك خلفه سيرة مجهولة يخجلنا أننا لا نعرف عنها إلا تاريخ بدايتها وانطفائها ؟ !

ألم يحن لنا أن نعرف عن كل شاعر تفاصيل سيرته ، والظروف التي أحاطت بكل قصيدة تركها ، وعلاقاته بأسرته وأصدقائه وقرائه ، والحب الذي ملك عليه أحاسيسه

ألم يحن لنا أن نقرأ الرسائل الخاصة التي يكتبها كبار أدبائنا، كما يقرأ الأوربيون رسائل شعرائهم ؟

ولم يفت الأوان بعد ، حتى بالنسبة لأبي القاسم الشابي الذي مات منذ ثماني عشرة سنة بعد شباب قصير متعثر بالآلام العقلية والجسدية . فلو نشط متحمس واحد لشعره ، واتصل بمن كان يعرفه لأنقذ ما تبقى من ذكريات عنه وربما فاز ببضع عشرة رسالة من رسائله يتحف بها القراء المتعطشين ، ويرفع تهمة الكسل عن هذا العصر ... فمن المخجل أن يكون كل ما نسلمه إلى الأجيال القادمة عن أبي القاسم الشابي حفنة من القصائد البديعة !

أيها المعاصرون ! لقد آن لنا أن نفيق من نومنا الطويل ، ونتدارك ما علينا من المسئوليات .

بغداد « انصاره »

الوعد الحق للدكتور طه حسين بك

لقد تفرد الدكتور طه حسين بك بهذا الأسلوب القصصي في عرض حياة هؤلاء الأرقاء . وأعطانا صورة رائعة عن الجو النفسي والاجتماعي في مكة في فجر الإسلام. وما تعرضوا له من ألوان البلاء. وضروب الإيذاء في صبر ، وجلد، وشجاعة ، ماثر كهم نماذج فريدة في سجل التضحية والفداء. ولقد عرض الدكتور هذه الصور قوية. حية . مؤثرة . مثيرة ... ولكن لا حاجة إلى إطراء فن الدكتور في هذا العرض وقدار ما يبلغه من إشاعة الحياة في صوره . وتأثيرها. ولا الى القول بأنها لون جديد في أدبنا الحديث نعتز به . بل خير للناقد من هذا أن يأخذ بيد القارىء حتى يبلغ به أعتاب هذا المعرض ويخلي بينه وبين طرائفه وبدائعه حتى يتهيأ له أن يأخذ لروحه وعقله ما فيه الغناء . أنظر كيف يصور الدكتور ما قاسته أسرة ياسر ، من شدائد وأهوال ، وكيف صبت عليها المحن صبا فلم يتزعزع إيمانها . ولا خانها صبرها . ولا تخلى عنها جلدها . ولا فقدت أملها في الله :(... أقبل أبو جهل ومعه أصحابه. فرأى فرأى الناس أنطاعاً من أدم يسع كل نطع منها رجلا وقد ملئت ماء . ورأوا ناراً مؤججة . ومكاوى قد أحمى عليها . ورأت تلك الأسرة قد شد وثاق كل منها . وألقى ثلاثتهم في جانب من الطريق كما يلقى المتاع غير ذي الخطر . فلما بلغ أبو جهل وأصحابه مكان العذاب أمر غلمانه فوضعوا بين يديه ياسرا . وزوجته. سمية وابنه عمارا ... وألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله. فألهب أجسامهم بالسياط ثم أذاقها مس النار ثم صب عليها قرب الماء ثم عاد فيهم سيرته مرة ومرة ثم أمر بهم فنطوا في الأنطاع التي ملئت ماء حتى انقطعت أنفاسهم أو كادت ثم ردهم إلى الهواء . وانتظر بهم فنطوا في الأنطاع التي ملئت ماء حتى انقطعت أنفاسهم أو كادت ثم ردهم إلى الهواء وانتظر بهم حتى أفاقوا وتسمع لما ينطقون به بعد أن تاب إليهم شيء من قوة فإذا هم يذكرون الله ويثنون على محمد قال أبو جهل لسمية وقد بلغ منه الغيظ أقصاه : لتذكرن آلهتنا بخير ولتذكرن محمداً بسوء أو لتموتن . تعلمي أنك لن ترى مساء هذا اليوم إلا أن تكفري بمحمد وربه . قالت سمية بصوت هادىء متقطع قليلا : بؤسالك ولآلهتك ! وهل شيء أحب إلي من الموت الذي يريحني من النظر إلى وجهك هذا القبيح ! هنالك تضاحك عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأخرج الحنق أبا جهل عن طوره فجعل يضرب بطن سمية برجله وهي تقول في صوتها الهادىء المتقطع : بؤسا لك ولآلهتك ، وتجن جنون أبي جهل فيطعن سمية بحربة كانت في يده فتشهق شهقة خفيفة . ثم تكون أول شهيد في الإسلام : يقول ياسر قتلتها ياعدو الله ! بؤسا لك ولآلهتك . ويقول عمار : قتلتها ياعدو الله بؤسا لك ولا لهتك ! ليمتلىء قلبك غيظا وحنقا فإن رسول الله قد ضرب لها موعداً في الجنة . قال ياسر : أشهد أن وعد الله حق . ولكن أبا جهل لم يمهله وإنما يضربه في بطنه برجله فيشهق ياسر شهقة خفيفة ثم يصبح ثاني شهيد في الاسلام . قال عتبة بن ربيعة : فينبغي أن تطلق هذا الرجل وأن تخلي بينه وبين الحرية ليوارى أبويه)

هذا لون من الألوان السامية المريعة التي كانت مكة تذيقها أسرة ياسر وبلال وصهيب وخباب ولم تستطع برغم هذا أن تبلغ منهم ما أرادت وباءت بالهزيمة وفازوا هم بالنصر والخلود

لقد استطاع الدكتور أن يخرج لنا من هذه الأطراف المبعثرة المشققة من الأحاديث عن هذه الشخصيات وهذا العهد كائنا حيا بكل خصائصه وسماته . فيا حبذا لو اتخذ أدباؤنا صنع الدكتور قدوة فنظفر بهذا التاريخ مجلوا ناصعا حيا .

محمد عبد الحميد ابو زيد